خطبة الأسبوع

الغَنِيْمَةُ البَارِدَةُ!

(الشتاء)

إعداد: قناة الخطب الوجيزة
https://t.me/alkhutab

الخُطْبَةُ الأُوْلَى

إِنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ ونَتُوبُ إِلَيه، مَنْ يَهْدِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَمَّا بَعْدُ: فَاعْلَمُوا أَنَّ **التَّقْوَى**: وَسِيلَةٌ لِمَحَبَّةِ الرَّحْمَنِ، وَدُخُوْلِ الجِنَانِ، والنَّجَاةِ مِنَ النِّيْرَانِ، وَهِيَ خَيْرُ لِبَاسٍ، وَأَعْظَمُ أَسَاسٍ! ﴿**أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ**﴾.

عِبَادَ اللهِ: مِنْ حِكْمَةِ اللهِ ﷻ، أَنْ **نَوَّعَ بَيْنَ الفُصُول**، ما بَيْنَ بَرْدٍ وحَرٍّ، وَجَدْبٍ وَمَطَر، وطُوْلٍ وَقِصَر! ﴿**يُقَلِّبُ اللهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ**﴾.

وَهَا هُوَ بَرْدُ الشِّتَاء: قَدْ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِزَمْهَرِيْرِهِ؛ لِيُذَكِّرَنَا بِآيَةٍ مِنْ آيَاتِ اللهِ السَّاطِعَةِ، وَحِكَمِهِ البَاهِرَةِ!

وَفِي كُلِّ شَيءٍ لَهُ آيةٌ

تَدُلُّ على أنَّهُ وَاحِدُ

وَمِنْ حِكَمِ الشِّتَاءِ: أَنَّ فِيهِ مَصَالِح لِلْعِبَادِ! يَقُوْلُ ابنُ القَيِّم: (فَفِي الشِّتَاءِ: تَغُوْرُ الحَرَارَةُ فِي بُطُوْنِ الأَرْضِ؛ فَتَتَوَلَّدُ الثِّمَار، وَيَسْتَكْثِفُ الهَوَاء؛ فَيَحْصُلُ السَّحَابُ والمَطَرُ، والثَّلْجُ والبَرَدُ، الَّذِي بِهِ حَيَاةُ الأَرْضِ وَأَهْلِهَا!)[1].

وَجَاءَ بَرْدُ الشِّتَاءِ: لِيُذَكِّرَنَا بِنِعْمَةِ اللهِ عَلَيْنَا: مِنَ البُيوتِ والثِّيَابِ السَّاتِرَةِ؛ قال ﷻ: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ﴾.

قال البَغَوِي: (﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾: يَعْنِي مِنْ أَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا وَأَصْوَافِهَا: مَلَابِسَ وَلُحَفًا؛ تَسْتَدْفِئُونَ بِهَا)[2].

وَفِي فَصْلِ الشِّتَاءِ: يَقْطَعُ المُسْلِمُ رَاحَتَهُ: وَيُنَازِعُ نَفْسَهُ عَنْ فِرَاشِهِ؛ لِيَقُوْمَ إِلَى صَلَاةِ الفَجْرِ (مَعَ شِدَّةِ البَرْدِ، وَغَلَبَةِ النَّوْمِ)؛ لِأَنَّهُ يَخَافُ زَمْهَرِيْرَ جَهَنَّمَ! ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ* فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. قال العُلَمَاءُ: (إِنَّ اللهَ مَدَحَ الَّذِينَ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ لِدُعَائِهِ؛ فَيَشْمَلُ ذَلِكَ: كُلَّ مَنْ تَرَكَ النَّوْمَ، وَقَامَ إِلَى صَلَاةِ الصُّبْحِ![3] فَإِنَّ صَلَاةُ الفَجْرِ: تَأْتِي فِي وَقْتٍ مَشَقَّةٍ؛ بِسَبَبِ بَرْدِ الشِّتَاءِ، وَطِيبِ النَّوْمِ فِي الصَّيْفِ، فَخُصَّتْ بِالْمُحَافَظَةِ؛ لِكَوْنِهَا مُعَرَّضَةً لِلضَّيَاعِ، بِخِلَافِ غَيْرِهَا)[4].

---

[1] مفتاح دار السعادة (207). باختصار.

[2] تفسير البغوي (5/ 9).

[3] جامع العلوم والحكم، ابن رجب (142-143). باختصار. قال ﷺ: (عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ رَجُلَيْنِ) وَذَكَرَ مِنْهُمْ: (رَجُلٍ ثَارَ عَنْ وِطَائِهِ وَلِحَافِهِ، مِنْ بَيْنَ حِبِّهِ وَأَهْلِهِ إِلَى صَلَاتِهِ، فَيَقُولُ اللهُ لِلَائِكَتِهِ: "انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي،

وَالشِّتَاءُ رَبِيْعُ الْمُؤْمِنِ: طَالَ لَيْلُهُ فَقَامَهُ، وَقَصُرَ نَهَارُهُ فَصَامَهُ![5] قال ﷺ: (**الغَنِيمَةُ البَارِدَةُ: الصَّوْمُ فِي الشِّتَاءِ**)[6]. وقال ابنُ مَسْعُودٍ ﷺ: (**مَرْحَبًا بالشِّتَاءِ: تَنْزِلُ فِيهِ البَرَكةُ، وَيَطُوْلُ فِيْهِ اللَّيلُ لِلْقِيَامِ، وَيَقْصُرُ فِيْهِ النَّهارُ لِلْصِّيامِ**)[7]. قال ابْنُ رَجَب: (**إِنَّما كانَ الشِّتَاءُ رَبِيْعَ الْمُؤْمِنِ؛ لأَنَّهُ يَرْتَعُ فيهِ في بَسَاتِينِ الطَّاعَاتِ، كما تَرْتَعُ البَهَائِمُ في مَرْعَى الرَّبِيْعِ؛ فَتَسْمَنُ وَتَصْلُحُ أَجْسَادُهَا؛ فَكَذَلِكَ يَصْلُحُ دِيْنُ الْمُؤْمِنِ في الشِّتَاءِ؛ فإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَقْدِرُ على صِيَامِ نَهَارِهِ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ، وَأَمَّا قِيَامُ لَيْلِ الشِّتَاءِ؛ فَلِطُوْلِهِ: يُمْكِنُ أَنْ تَأْخُذَ النَّفْسُ حَظَّهَا مِنَ النَّوْمِ، ثُمَّ تَقُوم**)[8].

ولهذا قال أَحَدُ التابعين -عندَ مَوْتِه-: (**مَا أَبْكِي عَلَى دُنْيَاكُمْ؛ رَغْبَةً فِيهَا، وَلَكِنْ أَبْكِي عَلَى ظَمَأِ الْهَوَاجِرِ، وَقِيَامِ لَيْلِ الشِّتَاءِ!**)[9].

ثَارَ عَنْ فِرَاشِهِ وَوِطَائِهِ مِنْ بَيْنَ حِبِّهِ وَأَهْلِهِ إِلَى صَلَاتِهِ؛ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي، وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدِي!"). رواه ابن حبان (2558)، قال الهيثمي: (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو يَعْلَى وَالْطَبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ، وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ). مجمع الزوائد (3538).

[4] شرح مسلم، النووي (5/ 129). بتصرف

[5] أخرجه أحمد (11734)، والبيهقي في السنن الكبرى (8456).

[6] أخرجه الترمذي (797)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

[7] لطائف المعارف، ابن رجب (558).

[8] لطائف المعارف (326). باختصار.

[9] حلية الأولياء، أبو نعيم الأصبهاني (2/ 88).

ومِنْ دُرُوْسِ الشِّتَاءِ: أَنَّه يُذَكِّرُ بِزَمْهَرِيرِ جَهَنَّم، وَيَدْعُو إلى الاِسْتِعَاذَةِ مِنْهَا! قال ﷺ: (اِشْتَكَتِ النَّارُ إلى رَبِّهَا، فَقالَتْ: "يا رَبِّ، أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا!" فَأَذِنَ لَها بنَفَسَيْنِ، نَفَسٍ في الشِّتَاءِ، وَنَفَسٍ في الصَّيْفِ، فَهُوَ أَشَدُّ ما تَجِدُونَ مِنَ الحَرِّ، وَأَشَدُّ ما تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ!)[10]. قال ﷻ: ﴿هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾، قال ابنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: (الغَسَّاقُ: هُوَ الزَّمْهَرِيرُ يَحْرِقُهُمْ بِبَرْدِهِ: كَمَا تَحْرِقُهُمُ النَّارُ بِحَرِّهَا!)[11].

والوُضُوْءُ في البَرْدِ: يُكَفِّرُ السيئَات، ويَرْفَعُ الدَّرَجَات! قال ﷺ: (أَلَا أَدُلُّكُمْ على ما يَمْحُو اللهُ بِهِ الخَطَايا، ويَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجاتِ؟) قالُوا: (بَلَى، يا رَسُوْلَ اللهِ!) قال: (إِسْباغُ الوُضُوءِ علَى المَكارِهِ!)[12].

ومِنْ مَكَارِهِ الشِّتَاءِ: أَمْرَاضُ البَرْدِ: (مِنْ زُكَامٍ وَحُمَّى)، وَهِيَ كَفَّارَاتٌ لِمَنْ صَبَرَ عَلَيْها؛ فَلَا يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَتَسَخَّطَهَا! قَالَ ﷺ: (مَا لَكِ يَا أُمَّ السَّائِبِ تُزَفْزِفِينَ - أَيْ تَرْتَعِدِيْنَ-؟) قَالَتْ: (الحُمَّى، لَا بَارَكَ اللهُ فِيهَا!) فقال: (لَا تَسُبِّي الحُمَّى، فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ، كَمَا يُذْهِبُ الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ)[13].

---

[10] أخرجه البخاري (3260)، ومسلم (617).

[11] تفسير البغوي (7/ 99). وقال ابنُ كثير: (الغَسَّاق: هُوَ الْبَارِدُ الَّذِي لَا يُسْتَطَاعُ مِنْ شِدَّةِ بَرْدِهِ الْمُؤْلِمِ!). تفسير ابن كثير (7/ 69).

[12] وتَتِمَّةُ الحديث: (وكَثْرَةُ الخُطَا إلى المَساجِدِ، وانْتِظارُ الصَّلاةِ بَعْدَ الصَّلاةِ؛ فَذَلِكُمُ الرِّباطُ) رواه مسلم (251). **تنبيه:** (إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ): إِنَّمَا يُشْرَعُ إِذَا لم يكن عِنْدَهُ مَاءٌ مُسَخَّنٌ، أَمَّا إِذَا كَانَ الْمَاءُ الْمُسَخَّنُ مَوْجُودًا؛ فَإِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَتَوَضَّأَ بِه، وَلَا يَتَعَمَّد أَنْ يَتَوَضَّأَ بِالْمَاءِ الْبَارِدِ؛ فإِنَّ هَذَا الْعَمَلَ غَيْرُ مَشْرُوعٍ.

[13] رواه مسلم (2575).

أَقُوْلُ قَوْلِي هَذَا، وَاسْتَغْفِرُ اللهَ لِيْ وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ؛ فَاسْتَغْفِرُوْهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ

الحَمْدُ للهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، والشُّكْرُ لَهُ عَلَى تَوْفِيْقِهِ وَامْتِنَانِه، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُه.

أَمَّا بَعْدُ: فَأَعِيْنُوا الفُقَرَاءَ، عَلَى مُوَاجَهَةِ الشِّتَاءِ؛ فَإِنَّ **الصَّدَقَةَ** تَرُدُّ البَلاءَ؛ قال ﷺ: (صَنَائِعُ المَعْرُوفِ؛ تَقِي مَصَارِعَ السُّوء)[14].

وَإِذَا كَانَ النَّاسُ يَفِرُّونَ مِنْ زَمْهَرِيْرِ الدُّنْيا: بِاللِّبَاسِ وَالكِسْوَةِ؛ فَهَلْ **فَرَرْنَا** مِنْ زَمْهَرِيْرِ الآخِرَةِ بِـ(لِبَاسِ التَّقْوَى)؛ فَهُوَ اللِّبَاسُ الَّذِي يَدُوْمُ ولا يَبْلَى، وَهُوَ الَّذِي يَحْمِيكَ مِنْ بَرْدِ جَهَنَّم![15]

وَلْنَتَذَكَّرْ بِهَذَا البَرْدِ: نَعِيْمَ أَهْلِ الجَنَّةِ! قال تعالى -واصِفًا حَالَهُم-: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾. قال ابنُ كَثِير: (**أَيْ لَيْسَ عِنْدَهُمْ حَرٌّ مُزْعِجٌ، وَلَا بَرْدٌ مُؤْلِمٌ، بَلْ هِيَ مِزَاجٌ وَاحِدٌ، دَائِمٌ سَرْمَدِيٌّ، لَا يَبْغُونَ عنها حِوَلًا!**)[16].

---

[14] أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (6086)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (4/ 538).

[15] قال الغزالي: (**وَأَكْثَرُ النَّاسِ لَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ صَمِيمَ قُلُوبِهِمْ؛ وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ: اسْتِعْدَادِهِمْ لِحَرِّ الصَّيْفِ وَبَرْدِ الشِّتَاءِ، وَتَهَاوُنِهِمْ بِحَرِّ جَهَنَّمَ وَزَمْهَرِيرِهَا!**). إحياء علوم الدين (4/ 511). باختصار

[16] تفسير ابن كثير (8/ 279).

****

* اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلامَ والمُسْلِمِينَ، وأَذِلَّ الشِّرْكَ والمُشْرِكِيْن.

* اللَّهُمَّ فَرِّجْ هَمَّ المَهْمُوْمِيْنَ، وَنَفِّسْ كَرْبَ المَكْرُوْبِين.

* اللَّهُمَّ آمِنَّا في أَوْطَانِنَا، وأَصْلِحْ أَئِمَّتَنَا وَوُلَاةَ أُمُوْرِنَا، وَوَفِّقْ وَلِيَّ أَمْرِنَا وَوَلِيَّ عَهْدِهِ لما تُحِبُّ وَتَرْضَى، وَخُذْ بِنَاصِيَتِهِمَا لِلْبِرِّ والتَّقْوَى.

* عِبَادَ الله: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

* فَاذْكُرُوا اللهَ يَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُرُوْهُ على نِعَمِهِ يَزِدْكُمْ ﴿وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾.

إعداد: قناة الخطب الوجيزة
https://t.me/alkhutab